رغم أهميته الاتصالية الاجتماعية إلا أنه صار موقعاً متهماً بالجاسوسية

مصيدة «الفيس بوك» الالكترونية

من موقع جامعي يسهل التواصل بين الطلاب.. إلى موقع وصل عدد مشتركيه «٥٠٠» مليون مستخدم

.. تفاجأ تماما وأحدهم يمتدحك على ما أبدعته من تواصل ورسائل جميلة على صفحة «الفيس بوك» فيثير هذا الإطراء في داخلك موجة من الخوف والغرابة في آن .. متى أرسلت رسائل على صفحة «الفيس بوك»؟ وما هي صفحة «الفيس بوك» هذه التي صارت المجالس تعج بالحديث عنها؟ وإلى أي مدى صار المجتمع النخبوي مشغولاً بالتواصل مع العامة والعاطلين الذين لا حديث ولا شغل لهم إلا مواقع ومقاهي النت؟.

تحقيق/ محمد محمد ابراهيم

□.. هذه الأسئلة ، ستحكم حصارها عليك ، وأنت تبتسم لمن يحدثوك ، ولا تكترث لما تحمله صفحة الفيس بوك الخاصة بك من رسائل لا تليق ولا ترضى بأن تكون لك في حال كنت من هواة التصفح أو المحاطين بضياع الوقت أمام شاشات الدردشة.

وفي المقابل تكون أنت والمجتمع متمنين لمن منحوا العالم هذه النعمة التي سترقى بكل من يستخدمها إلى الفضيلة والعلم والمعرفة.. في هذه التحقيق سنعرف جمهوراً الكترونياً جديداً ووسيلة اتصال أوسع انتشاراً ، ومشكلة لاتقل خطورة عن زرع الفتنة واشعال لهيب الجدل والخصام بأنامل النخبة المستعارة.

لا مجال لانتظار التوقعات حول تحول العالم ككل الى غرفة دردشة على لابتوب محمول فالقطار يمضي بأسرع ما يمكن توقعه .. بالأمس كان الكل يتحدث عن تكتيف العالم في قرية صغيرة وكان الخوف أكثر من أن تصبح ثقافتك ولغتك لهوة في رحى السباق المحموم في عالم الاتصال والتواصل ، أما اليوم فقد صار الخواف أن تواجه في صباحك أو في مقر عملك او مقيلك، بمن يتحدث عن تصريحات «فيس بوكية» على لسانك خصوصاً إذا أنت شخصية عامة وصاحب منصب وعمل ورأي فتسارع إلى نفي كلما قيل عنك متسائلاً متى و أين صدر مني ذلك الكلام ؟.. فيجيبك أحدهم «مجتهداً في تذكيرك».. على صفحتك في الفيس بوك هذا ما فوجئ به – أحد أعضاء مجلس النواب في بلادنا نتحفظ على ذكر الاسم ونكتفي بالقصة – حيث نسبت له تصريحات لايرضى بقولها ولا له علاقة بها بتاتاً .. وعند ما قيل له؟ هل هذا الكلام صحيح وقلته أنت على صفحتك الخاصة في «الفيس بوك» .. فاستغرب مطالباً بأن يأتوا بهذه الصفحة أو يطلعوه عليها .. فلما عرف أن الفيس بوك موقع الكتروني، في الشبكة العالمية «الانترنت» عض على شفتيه، وضرب كفيه ببعضهما ، ليس على ما سمع ، فحسب، بل ما سيقول عنه الآخرون من اضافات زائفة تزيد من قتامة وتفاقم المشكلة.

الأكثر مفاجأة له حسب تصريحاته للناس إنه لا يفقه أبجدية التعامل مع النت على الإطلاق ولم يتصفح مواقع الانترنت بتاتاً، وانها مجرد عملية تزوير ومكيدة من قبل آخرين استغلوا صورته المنشورة في إحدى صفحات المواقع الالكترونية الرسمية واسمه بالكامل وتم إنشاء الصفحة من قبل شخص آخر متعمدا الاساءة إليه.

وطالب كل من يقابله أو يتحدث عن تصريحاته الفيس بوكية.. أن لا يصدق هذه الافتراءات والأقاويل متسائلا عن السبيل للرقابة على هذه المواقع وكشف أصحاب هذه الجرائم ومعاقبتهم على أفعالهم التي لا تقود إلاّ إلى الفتنة بين الناس على حساب السلم الاجتماعي.

طرق التحايل

هذه قصة أو نموذج من نماذج الصفحات المزيفة والمزورة باسم وصورة شخص لا علاقة له بها لكنه المتضرر الأول ولم تكن هي الأولى فقد استخدمت هذه الأساليب باسم شخصيات كبيرة لها حضورها ومكانها الاداري أو السياسي أو الثقافي أو الفني حصلت لمحافظي محافظات ورؤساء مجالس إدارات مؤسسات ومدراء عموم وغيرهم وكلها حصلت في صفحة (الفيس بوك) اليمنية، حيث يقول عبدالله ناصر عزيز – معيد جامعي: بصراحة لم أصدق أن هناك أسماء مدعمة بالصور الشخصية لأشخاص يشكلون النخبة على صفحات الانترنت (الفيس بوك) وبشكل مزيف إلا عندما بدأت الحديث مع عميد كلية (.....) الاستاذ الدكتور (.....) مادحا انتقاده اللاذع والقوي لرئيس الجامعة (جامعة خاصة) تجاه ماقام به من تعامل مع بعض أعضاء هيئة التدريس في الجامعة حيث أحمر وجه العميد وبدأ يوجه موجة من الأسئلة وبغضب كبير: من قال لك هذا؟ وأين قرأت هذا النقد؟ وما وما وما..؟! الى آخر تلك الأسئلة.

وأضاف عبدالله : ولم يصدق العميد إلا بعد أن دخلنا معه إلى صالة الانترنت في الكلية وفتحت الموقع والصفحة فأصفر وجه العميد عندما رأى صورته واسمه ونقده اللاذع فأصدر بيانا خاصا وأرسله إلى رئيس الجامعة وتأكد في الأخير أن الموضوع مجرد مكيدة دبرت له من مجموعة خصوم .

الكارثة المحرجة لعبدالله هي أنه أصبح يحس بشعور المتهم تجاه هذه الصفحة التي قادته الصدفة إليها .. وابتنى على حديثه للعميد عنها أن الأخير جعله في قائمة المتهمين وإلا كيف عرف هذه الصفحة ، ومن دله عليها؟ ورغم بساطة الاجابة على هذه الأسئلة إلا أن عبدالله حسب تعبيره وقع في موقف محرج جدا إحساسه بالذنب والمشاركة في إيصال هذه الرسالة للناس .. لكن الثمة التي حلت به سرعان ما انكشفت عند تذكر العميد لصعوبة الموضوع الشائك الذي حصل بينه وبين أحد خصومه عند رئيس الجامعة ليجمع خيوط ذلك الموضوع ويستنتج منه الغريم الذي لا سبيل للوصول إليه أو معاقبته خصوصا والضحية لا يملك في يده أدنى برهان على ذلك الغريم سوى إيمانه الشخصي بمصداقية ما يظن به.

ماهو الفيس بوك؟

حتى لا نتوه دون تعريف القارئ عن جوهر وماهية موقع وصفحات (الفيس بوك) فحسب المراجع الالكترونية تبدأ قصة موقع الفيس بوك عندما جلس مارك جوكر بيرج أمام شاشة الكمبيوتر في حجرته بمساكن الطلبة في جامعة هارفارد الأمريكية العريقة وبدأ يصمم موقعا جديدا على شبكة الانترنت كان لديه هدف واضح وهو تصميم موقع يجمع زملاءه في الجامعة ويمكنهم من تبادل أخبارهم وصورهم وآرائهم .. واطلق جوكربيرج موقعه (فيس بوك) في عام ٢٠٠٤م وكان له ما أراد .. وسرعان ما لقي الموقع رواجا بين طلاب جامعة هارفارد واكتسب شعبية كبيرة وخلال سنتين من هذه الشعبية قرر جوكر بيرج أن يفتح موقعه على من أراد استخدامه وكانت النتيجة طفرة كبيرة في عدد مستخدمي الموقع إذ ارتفع من (١٢) مليون مستخدم إلى ٤٠ مليون خلال أشهر لا تتجاوز الأربعة .. وبعد هذا النجاح واصل تطوير موقعه ليشمل خدمات التواصل الاجتماعي عند الأطفال ليتلقى عرضاً لشراء موقعه بمبلغ مليار دولار العام الماضي ففاجأ الكثيرين برفض هذا العرض ليتفقوا أن جولد بيرج البالغ (٢٣) سنة في العام ٢٠٠٧م سيندم ، لكنه بعد فترة قصيرة يتلقى عرضا آخر من شركة ميكروسوفت لشراء ٥٪ من قيمة (فيس بوك) بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار الأمر الذي يعني أن قيمة فيس بوك الكلية تصل إلى نحو (٦–١٠) مليارات دولار أما من يستخدموا الفيس بوك فوصل عددهم إلى ما يقرب من (٥٠٠) مليون مستخدم حول العالم .

مضيعة للوقت

أن تقف كصحفي تلاحظ ما يدور حولك من أحداث وتفاصيل الحياة اليومية .. ستكون على قدر كبير من امتلاك لحظة الصفاء الذهني من ترجمة هذه الأحداث إلى قالب صحفي ناقدا أو ممتدحا لما يدور خلف ذلك من سلبيات أو إيجابيات مستقصيا بعد ذلك آراء جملة من الناس حول هذه أو تلك المشكلة .. وأن تقعد أمام شاشة الكمبيوتر متصفحا مواقع الانترنت خصوصا التفاعلية منها كصفحة (الفيس بوك) أوسع المواقع الاجتماعية التواصلية فمعنى هذا أنك أدخلت نفسك وعقلك في متاهات الشبكة العنكبوتية وعندما تضع سؤالا حول قضية معينة تجد نفسك في دوامة عالم يخرجك من موضوعك وقضيتك .. ومثلك الآلاف من الفتيان والفتيات يقضون ساعات طوال أمام الشاشة العالمية ليعودوا نهاية المطاف بخسران الوقت والجهد العقلي.

ما لفت انتباهي لهذا الأمر هو ما أشارت إليه الكاتبة والصحفية كروان الشرجبي حول ما تمثله صفحة (الفيس بوك) من مضيعة للوقت رغم ما تمثله من وسيلة اتصال واسعة تفتح أبواب التعرف على الكثير من الشخصيات والأفكار ويوسع من العلاقات الإنسانية، إذاً هذه المعرفة وهذه العلاقة سرعان ما تذهب، خصوصاً عندما تدرك أن معظم الأسماء مستعارة والأفكار والرؤى أحياناً لا تقودك إلى التشتت وعدم التركيز.

وأكدت الشرجبي أنها لا تفضل هذا الموقع الجماهيري الواسع، ولم تعرفه إلا من إحدى صديقاتها التي أصرت على أن تتعرف عليه، ورغم ذلك لم تجد فراغاً في وقتها لمتابعة هذا الكم من الأسماء والمعلومات والأفكار، ولا يدخل هذه المواقع إلا العاطلون، أما من هو مشغول بعمله فلا يجد الوقت لذلك.

ودعت الشباب والشابات إلى الحذر من هذه الصفحات والمواقع إلا في حدود الاستخدام المفيد والمجدي، وعدم التعاطي مع الأسماء المستعارة، والتأكد من صحة ومصداقية الأصدقاء المعروفين.

وسيلة اتصال جماهيرية

قد تبدو الصورة أكثر قتامة من خلال تلك الشواهد على سلبيات موقع «الفيس بوك»، لكن المسألة هنا تتعلق بإساءة استخدام الناس لهذا الموقع الذي يعتبر أهم وسيلة إلكترونية للاتصال الاجتماعي والتفاعلي، وهي الوسيلة الأكثر نفاذاً لحدود العالم الجغرافية والسياسية أو ما يسمى بالشبكة العنكبوتية، كما أن موقع الفيس بوك صار أكثر المواقع شيوعاً، إذ وصل مشتركوه إلى أكثر من (٥٠٠) مليون مشترك في العالم، منهم (١٥٠) مليون مشترك يدخلون صفحات هذا الموقع من خلال هواتفهم النقالة.

هذا ما لفت إليه الدكتور نشوان السميري، مدرب في مجال الاتصال الإعلامي، حيث أوضح أنه قبل فترة قصيرة من الأيام نفذ دورة تدريبية متخصصة لمجموعة من الشباب في جانب الإنترنت كوسيلة اتصال جماهيرية تفاعلية، وبالأخص الفيس بوك، كموقع اتصالي اجتماعي صار أكثر حضوراً على الشبكة العنكبوتية، موضحاً أن هذا الموقع أخذ في التنامي بوتيرة متسارعة، لأنه لبى للناس الرغبة في التواصل مع بعضهم من الأصدقاء والأقارب، حتى أن بعضهم استعاد أصدقاء فقدهم منذ سنوات، عبر هذا الموقع الذي تحول من موقع جامعي إلى موقع عالمي يضم هذا العدد الكبير من المشتركين، والمتمثل في الرقم الذي ذكرته آنفا، حتى أنه صار متفوقاً حالياً على موقع (جوجل) العالمي، وميزة هذا الموقع أنه يتيح فرصة النشر السريع، صفحاته المختلفة والمزدوجة، ومجاناً، فتنشر معلومات عن مؤسستك أو منتجك أو عنك، إضافةً إلى ما يقدمه هذا الموقع من خدمة معرفية وإخبارية مستمرة، ويجعلهم على اطلاع ومعرفة كاملة لما يدور حولهم من أحداث ورؤى ونقاشات حول مجمل قضايا الساعة الثقافية والسياسية والفكرية وغيرها.

وحول الاستخدام أو الاستغلال السلبي لصفحات هذا الموقع، كأن تدخل المغالطات والأسماء المستعارة ومحاولة المساس بخصوصيات ومعلومات الآخرين، قال السميري : قبل فترة نشرت الـ «سي . إن . إن» اتهاماً واضحاً لأصحاب موقع الفيس بوك بالجاسوسية أو بالجوسسة من خلال المساس والتصرف بمعلومات الأشخاص تحت أغطية مستعارة، فأحياناً تصلك رسائل كثيرة تقول لك : شكراً لاشتراكك في الموقع وأنت لم تشترك نهائياً، فأكتشف الكثير من المشتركين أن عناوينهم أخذت دون علمهم، وتم الاشتراك في هذه المواقع أو هذه الصفحات، كما تؤخذ الصور الشخصية، خصوصاً للفتيات، وتركب على صور أخرى وعبر البرامجية الفنية والتقنية والإخراجية، وفي هذا المقام نحذر الشباب والشابات من وضع الصور الخاصة على صفحاتهم ونحذرهم – أيضاً – من التعامل إلا مع من يعرفون من الأصدقاء الثقات.

وبناءً على هذه المحاذير فقد عمدت وزارتا العدل والبيئة الألمانيتان إلى الطلب المباشر والهام باتخاذ إجراءات قانونية سريعة وصارمة لإلزام موقع «فيس بوك» لفرض إجراءات إضافية لحماية البيانات الشخصية لمشتركيه الألمان الذين يصل عددهم إلى عشرة ملايين مشترك، وهذه تسهل التجسس وأنواع الاحتيال.

محلياً

بحثك على صفحة الفيس بوك عن أبرز الشخصيات الاجتماعية والسياسية اليمنية، يجعلك أمام آلاف المشتركين ممن تعرف ومَنْ لا تعرف، لكن الهاجس الوحيد الذي يحاصرك قبل التعقيب على رؤى وصفحات الفيس بوك الخاصة بهذه الشخصيات هو عدم الثقة بمصداقية بعض هذه الأسماء، صحيح أن الموجود اسمه وصورته أمامك هو «س» من أصدقائك الذين تعرفهم، لكن هل هو الذي أنشأ هذه الصفحة أو تلك؟ أم أنه غيره؟ وهذا الشك بدأ يتزايد يوماً بعد يوم، خصوصاً بعد اكتشاف بعض الشخصيات الاجتماعية والنيابية اليمنية أن هناك تصريحات قيلت بأسمائهم، وهذا ما أكده – أيضاً – الدكتور نشوان السميري في حديثه عن الفيس بوك، مشيراً إلى أن معظم هذه الشخصيات لا تجيد التعامل مع النت على الإطلاق.

□ سقف الحرية فتح الباب على مصراعيه في تزييف التعامل التواصلي تحت أغطية مستعارة

□ شخصيات اجتماعية ونيابية يمنية تجد نفسها تصرح على صفحات الفيس بوك دون علمها ، ولاتعرف التعامل مع الكمبيوتر

دكتور/ السميري:

□ نحذر الشباب والشابات من وضع صورهم الخاصة أو المعلومات ذات الخصوصية حتى لايساء استخدامها